

تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.comالزلازل السياسي الإيطالي إنذارٌ مبكرٌ
اليمن المتطرف، قوّة صاعدة في أوروبا

استفاقت إيطاليا على انقلاب سياسي يضعها عند اعتاب أكبر تحول سياسي في تاريخها الحديث. للمرة الأولى، يحقق تحالف أحزاب اليمين المتطرف انتصارا كاسحا في الانتخابات بقيادة "أخوان إيطاليا"، ولم يحصل ان تشكلت حكومة يمينية متطرفة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحكومة موسوليني



للمرة الأولى في إيطاليا تصل امرأة الى رئاسة الحكومة، هي زعيمة "أخوان إيطاليا" جيورجيا ميلوني الصاعدة من صفوف الشعب الى قمة السلطة.

وصول جيورجيا ميلوني الى رئاسة الحكومة الإيطالية بعد الفوز الساحق الذي حققه حزبها "أخوان إيطاليا"، كان من أبرز التحولات السياسية التي شهدتها أوروبا خلال السنوات الأخيرة. لقد كان نقطة تحول تستدعي التوقف عندها لاستشراف صورة المستقبل السياسي الذي قد يكون يعتمل في بلدان الاتحاد الأوروبي، وربما في الدول الغربية، إذ ان الحزب الذي تتزعمه ميلوني هو وليد ارتقاء فلول الحركة الفاشية، التي كان قد حظرها الدستور الإيطالي بعد سقوط بينيتو موسوليني وولادة الجمهورية الثانية، والدليل القاطع على ان الطوق الاخلاقي الذي حاولت الاحزاب التقليدية في أوروبا الغربية فرضه حول اليمين المتطرف طوال عقود لم يمنع هذا اليمين من الانخراط في المسار السياسي والصعود الى قمة هرم السلطة. يضاف الى ذلك، ان هذه الاستراتيجية التي تبنتها احزاب اليسار واليمين المعتدل لم تكن حائلا دون الانهيار المطرد لهذه الاحزاب واندثار معظمها.

لا يغيب عن البال ان هذا التطور، الذي يحصل في دولة اوروبية وازنة اقتصاديا وسياسيا وديمقرافيا، يتزامن مع مرحلة دقيقة جدا من التاريخ الأوروبي الحديث، تعتمل فيها ازمات عدة عميقة ومفتوحة على احتمالات يصعب التكهّن بمآلها. فقد تبين هذه التجربة ان تركيز الحملات الانتخابية على الادانة الاخلاقية، والتحذير من العواقب الكارثية لوصول القوى المتطرفة الى السلطة، يضع هذه القوى في موقع البديل الفعلي مهما كانت برامجها السياسية خاوية من الاقتراحات والحلول العملية لمعالجة الازمات.

فوز ميلوني في إيطاليا، العضو المؤسس للاتحاد الأوروبي وثالث أكبر اقتصاد في منطقة اليورو، احدث ما يشبه الزلزال السياسي، خصوصا وانه يأتي بعد انتصار اليمين المتطرف في الانتخابات السويدية ايضا. فقد اصبح حزب الديمقراطيين السويديين أكبر احزاب اليمين وثاني أكبر حزب في البلاد، تماما كما هي حال الجبهة الوطنية الفرنسية وزعيمتها مارين لوين التي خاضت معركة رئاسية منافسة شرسة مع الرئيس إيمانويل ماكرون، وهي المعارضة لسطوة الاتحاد الأوروبي والمطالبة بوقف الهجرة. واذا كانت فرنسا وألمانيا وهولندا قد نجت لغاية الان، من قبضة التشدد، فان رئيس الوزراء المجري المحافظ فيكتور أوربان يعطي نموذجا واضحا عما يمكن ان تكون عليه الحكومات الأوروبية المقبلة، فهو في معارضة مستمرة، ومواجهات لا تتوقف مع البرلمان الأوروبي.

استعدت المؤسسات والعواصم الأوروبية الكبرى للزلازل الإيطالي، ولعلاقة مع روما تندر كل

على النظام المالي وقواعد العمل واتخاذ القرار في مؤسسات الاتحاد. ويخشى شركاء إيطاليا في الاتحاد ان يؤدي وصول ميلوني الى رئاسة الحكومة الى عرقلة عملية اتخاذ القرارات في ذروة ازمة الطاقة الناجمة عن الحرب في اوكرانيا، وربما الى تصدع وحدة الموقف في المواجهة مع موسكو. السبب في ذلك ان إيطاليا ليست المجر، فهي القوة الاقتصادية الثالثة في أوروبا، وعضو مؤسس للاتحاد

وصول "أخوان إيطاليا" الى الحكم نقطة تحول

تجلت بوضوح في التجربة الإيطالية - هي الروابط التي نسجتها مع القوى اليمينية المؤسسية، التي اصبحت تشكل خطرا وجوديا على الاحزاب والقوى المحافظة التقليدية. فالتحالف الذي بناه حزب انطونيو تاجاني، الرئيس السابق للبرلمان الأوروبي والمرشح لخلافة برلوسكوني، مع "أخوان إيطاليا"، كان له أكبر الاثر في التخفيف من حدة الصورة المتطرفة لحزب ميلوني، ما يحمل على التساؤل حول ما اذا كانت التجربة الإيطالية - مرة اخرى - نافذة تطل على المشهد السياسي المقبل في أوروبا.

لا شيء يشي لغاية اللحظة، بأن الازمات الحياتية التي تمر فيها أوروبا ستجد وصفات لحلها غدا، والعودة الى العقل، بل على العكس، سيذهب العالم الى مزيد من الصدمات والنزاعات، وتأكل الموارد، كما تصاعد عدد المهاجرين من جنوب المتوسط وشرقه الى ضفته الشمالية، اضعف البهم اليوم الأوكرانيين الذين استقبلوا بالترحاب، لكن الارض بدأت تضيق بمن عليها. الهرج الذي رافق فوز الائتلاف اليميني الإيطالي بزعامة حزب "أخوة إيطاليا" المتطرف، واقترب زعيمته جيورجيا ميلوني من ترؤس الحكومة، ليس سببه انها ستتمكن من تنفيذ كل تمنياتها بضرية واحدة، وهذا صعب، بل مستحيل. المخاوف متأية من ان إيطاليا كانت ترسم، تاريخيا، مؤشر المزاج الأوروبي وتوجهاته المستقبلية.

اذا كان وصول اليمين المتطرف الى الحكم في إيطاليا مرآة يستشرف الأوروبيون من خلالها ما قد ينتظرهم في السنوات المقبلة، فهو ايضا يطرح علامات استفهام حول مستقبل المواجهة الأوروبية مع روسيا وموقع الاتحاد في المعادلة الدولية التي ستسفر عنها الحرب الدائرة في اوكرانيا. إذ من المعروف ان معظم الاحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا تقيم منذ سنوات علاقات وثيقة مع موسكو، وهي اعربت مرارا عن معارضتها للعقوبات المفروضة على روسيا بذريعة انها تضر بالمصالح الأوروبية أكثر من المصالح الروسية، لذا عارضت ارسال الاسلحة الى اوكرانيا. ولم يكن مستغربا ان الانتخابات الإيطالية استأثرت باهتمام واسع في الاوساط الأوروبية والأميركية، نظرا الى التداعيات المحتملة لتناجها على وحدة الصف الاطلسية من المواجهة مع موسكو.



الاوروبي. لكن الموقف الان في المؤسسات الأوروبية هو الانتظار لمعرفة الخطوات العملية والتدابير الاجرائية التي ستتخذها الحكومة الإيطالية الجديدة، والبناء على مقتضاها.

الاحزاب اليمينية الشعبوية ليست معجبة بسطوة بروكسل ولا بقراراتها التي ترى فيها ديكتاتورية تنتقص من السيادة الوطنية، ومع ذلك سيجدون انفسهم، حين يصلون للسلطة، مضطرين لمسايرة قرارات الاتحاد والبقاء تحت مظلته، على الاقل في الوقت الراهن من أوروبا، وصولا الى الفاشية الصغيرة تلميذة برلوسكوني، جيورجيا ميلوني، فثمة مصالح وتمويلات ومساعدات وديون، وتشابك مصالح. المهاجرون ليسوا وحدهم من يثرون شعور الشعوب الأوروبية بان التغييرات لم تعد لصالحهم. باتت الاسباب متداخلة. حرب اوكرانيا وما تبعها من تضخم وشح في الطاقة، وارتفاع كلفة الحياة، واحساس المواطنين بضيق الحال. كل هذا لن يشجع اكثر على التطرف والعنصرية بالضرورة،

فليس هذا ما يطلبه الجمهور عادة، وانما الحياة الكريمة التي اخفقت في تأمينها الاحزاب التقليدية المعتدلة، من يمين ويسار ووسط حين لا يوجد بديل غير المتطرفين من يسار ويمين.

تميزت الاحزاب اليمينية المتطرفة خلال السنوات الأخيرة بنجاحها في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لتسويق صورة معتدلة لها، ومنزهة عن العقم والفساد الذي كانت تقع فيه الاحزاب المشاركة في الحكم، الامر الذي سمح لها باستقطاب نسبة كبيرة من التأييد الذي كانت تحظى به الاحزاب التقليدية، وبخاصة منها المحافظة. وتفيد الدراسات ان القوى اليمينية المتطرفة تسخر نسبة كبيرة من مواردها في حملات واسعة على وسائل التواصل، قبل الانتخابات وخلالها وبعدها، وتوكلها الى افضل الاختصاصيين في هذا المجال.

من العوامل الأخرى التي تفسر هذا الصعود للقوى اليمينية المتطرفة، الى جانب مهارتها في نقل الافكار الهامشية الى واجهة النقاش العام - التي